مجلة المرابط

العدد : ٢٠٩ الموافق في محرم ١٤٢٠ هجري ٥ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : رؤية في منهج الغيير ..	بقلم : التحرير

التغيير واجب وضرورة :

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ❋ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ❋ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما } [الأحزاب ٧٠-٧٣] .

أمانة وشهادة

جعل الله هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس ، وأنعم عليها برسالة خاتم النبيين والمرسلين وصفي رب العالمين ﷺ وجعلها أمينة على آخر الرسالات وشاهدة على سائر الأمم {**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً } [البقرة : ١٤٣]**

ولقد أشهد الرسول ﷺ الله عز وجل على أمته ، في حجة الوداع ، أنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد وردد في مواطن كثيرة من مشاعر حجة الإسلام هذه القولة " وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد .. اللهم اشهد " [متفق عليه واللفظ لمسلم]

إن هذه الأمانة التي حمّلها الله عز وجل لنبيه ﷺ ، وهذه الشهادة التي كلفه بها ، والتي كُلفت البشرية بحملها من بعده ، تعني إقامة الدين كما أكمله الله وأتمه بنزول قوله عز وجل في حجة الوداع : { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** } [المائدة : ٣]

ومفهوم الدين يشمل هنا : العقيدة والعبادة ، والأحكام والفرائض ، والحلال والحرام ، والمنهج والنظام .

ومفهوم حمل الأمانة والقيام بالشهادة يشمل : القبول والتسليم الفكري ، والتطبيق والتنفيذ الفردي ، والدعوة والتبليغ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح الاجتماعي ، وتطبيق النظام الإسلامي ، وإقامة حكم الله في الأرض

وهكذا كان اكتمال الدين عند نزول هذه الآية الكريمة ، فقد كان الرسول ﷺ وصحبه الكرام شهداء على البشرية وأمناء على الحق ، وكانوا منابر للهدى ومشاعل للضياء ، وجسد الرسول ﷺ وخير القرون اكتمال الدين بإيمانهم وعملهم ، وبعباداتهم ومعاملاتهم ، وبمجتمعهم ودولتهم . وتركوا لكل قرن من بعدهم ولكل جيل يخلفهم مقياساً عملياً لما يجب أن يكون عليه " **الدين** " الذي جعلنا الله شهداء به وأمناء عليه .

واجب التغيير وضرورته

بعد معرفة النموذج النبوي لدولة الإسلام ، تتعين المهمة الأولى للأمة التي انتدبها الله من كل جيل بقوله { **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** } [آل عمران : ١٠٤] في محاسبة أنفسهم بناء على المقياس الفردي الذي قدمه خير القرون ، وفي محاسبة مجتمعاتهم بناء على المقياس الاجتماعي الذي قدمه خير المجتمعات وفي محاسبة أنظمة الحكم في أقطارها بناء على مقياس العدل والصلاح الذي قدمه منهج النبوة والخلافة الراشدة .

وتتعين المهمة الثانية بعد ذلك في العمل لإصلاح الذات والأفراد والمجتمع ، وفي العمل على إقامة الحياة الإسلامية والحكم الإسلامي .

ولننظر إلى والواقع الإسلامي اليوم بمختلف مجالاته ، ولنقسه بمقياس ذلك النموذج الرباني الذي بين أيدينا ، لنتبين مدى الحاجة إلى الإصلاح ومدى الضرورة للتغيير . ولا يجوز أن نطلق حكمنا بناء على نوادر الحالات الإيجابية أو شواذها السلبية ، وإنما العبرة بعموم الأمور وأغلبها لا بشواذها ونوادرها .

الفرد المسلم بعيد عن الإسلام...

معرفته بالإسلام محصورة في شيء من التاريخ والتراث ، وتطبيقه للإسلام محصور في بعض العبادات والعادات ، وإيمانه

بالله تقلص إلى التسليم ببعض الغيبيات . لم يعد يقينه يقين من يعلم حقاً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعه بشيء لن تنفعه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعت على أن تضره بشيء لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

لم يعد توكله توكل { **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** } [آل عمران:١٧٣]

لم يعد تسليمه تسليم سحرة فرعون عندما دخل الإيمان في قلوبهم { **فأُلقي السحرة سُجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى ۞ قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنكم في جذوع النخل ولتعلمُن أينا أشد عذاباً وأبقى ۞ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ۞ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** } [طه : ٧٠-٧٣]

لم يعد تبنّيه للإسلام تبني قضية مصيرية يحيا لها أو يموت من أجلها . و لم يعد يرى في العيش بالإسلام وتطبيق نظامه الخير القريب له في حياته قبل مماته .

مجتمعاتنا غريبة عن الإسلام...

انحسر الإسلام عنها بعد إقصائه عن مناهج التربية والتعليم ، وعن بناء البيت والأسرة ، وعن تنظيم علاقة الرجل والمرأة ، وعن ترشيد الأخلاق والفضائل ، وعن توجيه الصحافة والإعلام . فنتج عن ذلك مجتمع تقطعت فيه روابط القرابة والمودة والتراحم والتكافل ، وانتشرت فيه الجريمة وتفشت فيه الرذيلة ، وأصبح فيه المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، واختلت سائر اسس النظام الاجتماعي الإسلامي وتحول إلى مجتمع غربي المظهر معدوم القيم والمبادئ جاهلي السلوك والأخلاق .

وحكم الإسلام غائب عن أرض الإسلام...

الحاكمية في بلاد المسلمين لغير الله ، والحُكم في أقطارهم بغير شرع الله . أقطار تعلن أن الإسلام دين الدولة ثم تقنن في

اقتصادها واجتماعها وعقوباتها وأحوالها الشخصية ما يبرأ الإسلام منه . وأفكار تعلن أن الشريعة مصدر أساسي في تشريعاتها ، وتشرك في حاكمية الله قانوناً فرنسياً أو بريطانياً أو غير ذلك ، وأقطار تعلن أن القرآن دستورها وتكتفي بذلك ، ليبقى لهوى الحكام ومصالح بطانتها ومجالس إفتائهم المصطنعة صلاحية لا يضبطها قانون ولا يحددها نظام .

حرم حكام المسلمين شعوبهم حق الأمة في مراقبة ولاة أمورها ومحاسبتهم ، واختيارهم ، وعزلهم . وسلبوا الفرد المسلم كرامته التي أقرها الله له وحصانته التي حفظها الإسلام لكل مسلم ، وعاثوا في الأرض فساداً ، يعبثون بأموال شعوبهم وينفقونها على شهواتهم وملذاتهم ، فحولوا بذلك شعوبهم المظلومة إلى أعداء لهم ، وباعوا ولاءهم لأعداء الإسلام ليجدوا لديهم حماية مناصب حكمهم وعروش ملكهم .

ودفعوا ثمن ذلك تخليهم عن حقوق أقطارهم ومصالح شعوبهم وقضايا الإسلام المصيرية . ولو حكموا بالعدل والإحسان والإسلام لعادت إليهم شعوبهم ، ولعادت إليهم جميعاً عزتهم وكرامتهم وأمجادهم .

هذا واقع المسلمين أفراداً ومجتمعات وحكومات ، قسناه في هذه العجالة السريعة بمقياس الإسلام الذي شرعه الله عز وجل ، والذي جسده خير قرون هذه الأمة . فهل من سائل بعد ذلك عن ضرورة إصلاح هذا الفساد وتغيير هذا الواقع ؟

إن واجب التغيير فرض كفاية على هذه الأمة[1] وهو منوط بعلمائها وجماعاتها وحركاتها وأهل الفضل والصلاح فيها حتى يعودوا بهذه الأمة إلى ما كان عليه دينها يوم أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** } [المائدة: ٣]

---

[1] عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم " [رواه الترمذي وقال حديث حسن].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل " [رواه مسلم]

إن أمة الإصلاح والتغيير ملزمة بالأخذ بهذا الدين وبكامل هذا الدين ، فترك أي جانب من جوانبه إنقاص له بعـــد أن أكمله الله.. وإدخال أي بدعة فيه إنما هو إدعاء النقص في الدين الذي أكمله الله .. ورفضه منهجاً للحياة ونظاماً للحكم إنما هو عزوف عما ارتضاه الله منهجاً للنبيين والمرسلين وعباده الصالحين